

## صرف العذاب الدنيوي عن العباد من ثمرات التوبة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ثم أما بعد، من الثمرات والنتائج المرتبة على التوبة، أن التوبة من أجل العبادات، وأنها من شيم أوليائه الصالحين، وأنها واجبة على كل مؤمن، ولا يستغنى عنها أحد، ولا يكمل أحد ويحصل له كمال القرب من الله ويزول عنه كل مكروه إلا بها. توعدهم الله المكذبين للرسول، والمصرين على الكفر والمعاصي، توعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة.

فقد جاء هذا الوعيد على لسان أنبيائه ورسله، الذين حذروا أقوامهم عذاب الاستئصال في الدنيا لمن يبقى مصرًا على الكفر والعصيان.

قال تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفُسُوا الْكَيْفَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ إِيَّيَّكُمْ إِذْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ } [هود: 84]

ومن ثم حذرهم عليه السلام أن يصيبهم مثل العذاب الذي لحق بغيرهم من الأقسام السابقين قائلاً لهم: { وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ } [هود: 89]

ثم حثهم على ما يصرف عنهم هذا العذاب، ويمنعهم منه، ويبدلهم بالأمن والاطمئنان والرحمة فقال: { وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ } [هود: 90]

ولما تنكبوا الطريق، وجحدوا التوبة، وأصرروا على المعصية مستكبرين - أصابهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا - { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ } [هود: 91]

وكانت النتيجة نجات النبي مع المؤمنين التائبين، وهلاك المصرين المستكبرين: { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ } [هود: 94]

وهذا الوعيد حملة جميع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - إلى أقوامهم، وأنذروهم، وبينوا لهم أن عذابه أليم شديد في الدنيا والآخرة، وأن انتقامه كبير، كما أخبر سبحانه بقوله: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْقَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 102]

ومن هنا كان الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يحذرون أصحاب الذنوب، وأهل الإصرار والجحود مباغطة عذاب الله الأليم في أي لحظة من ليل أو نهار: {وَأِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَنُتَّمِ إِلَّا مُفْتَرُونَ} [هود: 50]

وقد جعل الله تعالى التوبة مانعًا لهذا العذاب الدنيوي، الذي يستأصل العاصين، ودافع له عنهم في عدة آيات من الكتاب العظيم، فقد قال سبحانه: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود: 3]

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]